المدرسة الإسلامية

ظهرت المدرسة الإسلامية في مطلع ثمانينات القرن العشرين عند إنشاء المعهد العالمي للفكر الإسلامي في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي ليست حركة مذهبية أو اتجاه إيديولوجي بل هي في جوهرها منهج للتعامل مع المعرفة ومصادرها المختلفة، وهي أيضا منظور معرفي في طور التشكل والبناء والاكتشاف والنمو والاختبار.

1- تعريف المدرسة الإسلامية:

انطلاقا من تسميتها بالمدرسة الإسلامية، حاول العديد من الباحثين إعطاء تعريفا لها من خلال تصورهم لها أو لأولويات العمل فيها، حيث يعرفها عماد الدين خليل في مؤلفه مدخل إلى إسلامية المعرفة (المدرسة الإسلامية)، تعني إسلامية المعرفة **ممارسة النشاط المعرفي كشفا وتجميعا وتركيبا وتوصيلا ونشرا من زاوية التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة.** (1990)

ويرى طه جابر العلواني **إلى أن إسلامية المعرفة لا تعني في أي حال مجرد إضافة عبارات دينية إلى مباحث العلوم الاجتماعية والإنسانية باستمداد آيات قرآنية ملائمة لموضوعات العلم المقصود أسلمته، بل هي إعادة صياغة منهجية ومعرفية للعلوم وقوانينها** ، كما لا تعني مجرد سحب الانتماء الذاتي للدين على كافة الموضوعات لإضفاء صفة الشرعية الدينية على الإنجاز الحضاري البشري واستلابه دينيا بمنطق الاحتواء اللاهوتي واللفظي.

وترتبط المدرسة الإسلامية بعملية إعادة بناء العلوم الاجتماعية في ضوء التصور الإسلامي للإنسان والمجتمع والوجود، وذلك باستخدام منهج يتكامل فيه الوحي الصحيح مع الواقع المشاهد كمصدر للمعرفة.

فالمدخل المنهجي الإسلامي: هو تصور اعتقادي يأخذ من العقيدة الإسلامية منطقا ومرجعا لتحليل السلوك الإنساني والحياة الاجتماعية ويفسر بمقتضاها وفي إطارها الظواهر الاجتماعية.

وهناك اتفاق يشبه الإجماع بين المهتمين بإصلاح العلوم الاجتماعية والمهتمين بالعمل على زيادة فعاليتها من خلال إعادة صياغتها في ضوء التصور الإسلامي على ثلاثة أمور وهي:

أ- إن مناهج العلوم الاجتماعية الحديثة ونظرياتها تتضمن كثيرا من الأفكار تتعارض أو تتناقض مع التصور الإسلامي الصحيح للإنسان والمجتمع والوجود.

ب- ترتب على هذا القصور عجز تلك العلوم عن التوصل إلى تفسيرات مرضية للسلوك الفردي أو للظواهر الاجتماعية في المجتمعات الإسلامية وغيرها.

ج- أن هناك حاجة ماسة إلى إعادة النظر في تلك المناهج والنظريات والمسلمات بطريقة جذرية.

2- تاريخ المدرسة الإسلامية وروادها:

ينقسم التطور التاريخي للمدرسة الإسلامية إلى مرحلتين أساسيتين:

- **المرحلة الأولى:** تبدأ من نزول الوحي على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واستمرت مع ذروة الحضارة الإسلامية ممثلة بفقهاء الدين والمفكرين والفلاسفة في مختلف جوانب المعرفة الدينية والفلسفية والاجتماعية، ومن أشهرهم أبو حامد الغزالي، ابن تيمية، ابن رشد، الفارابي، ابن سيناء، ابن خلدون...

- **المرحلة الثانية:** تمتد من نهاية القرن التاسع عشر وما ميز هذه المرحلة من وقوع العالم الإسلامي تحت السيطرة الاستعمارية الأوروبية، حيث ميز لمدرسة الإسلامية الفكر الإصلاحي ممثلا بمحمد عبده، وحسن البنا، وسيد قطب، ثم تليها فترة الأربعينات من القرن العشرين حيث برز مفكرون من أمثال مالك بن نبي ومحمد إقبال وغيرهم، وصولا إلى مرحلة الثمانينات حيث تم تأسيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي أين برز نخبة من ممثلي المدرسة الإسلامية بمجموعة من الأعمال العلمية منها:

- ✓ صياغة العلوم الاجتماعية صياغة إسلامية لإسماعيل راجي الفاروقي 1989
- ✓ أزمة العقل المسلم لعبد الحميد أحمد أبو سليمان 1991
- ✓ مدخل إلى إسلامية المعرفة عماد الدين خليل 1990
- ✓ المنهج الإسلامي في دراسة المجتمع لتوفيق نبيل السمالوطي في 1985
- ✓ نحو علم الإنسان الإسلامي لأحمد أكبر 1990
- ✓ معالم المنهج الإسلامي محمد عمارة 1991

هذه الجهود وغيرها من الفعاليات العلمية على المستوى العالمي كالبحوث والمؤتمرات، وتأسيس الجمعيات هي حاضرة في الخطاب العلمي بهدف محاولة إيجاد البديل المنهجي خاصة في العلوم الإنسانية والاجتماعية الذي احتكرته المدرسة الوضعية والمدرسة الماركسية.

3- مصادر المنهجية الإسلامية:

يتفق أنصار المدرسة الإسلامية أن مصادر الفكر والمنهجية الإسلامية تتلخص في ثلاثة مصادر وهي:

أ- الوحي: مصدر للمعرفة والتوجيه في حياة الإنسان، يقصد به عموما كلمة الحق التي أوحى الله تعالى بها إلى الأنبياء والرسل لكي تبلغ ما أمر به إلى الأمم، كما يقصد به أيضا كلمة الله تعالى وإرادة الحق التي أوحى بها على نبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ليبلغها للناس كافة، فهي رسالة خاتمة للمقاصد والمبادئ والأحكام والقيم التي ينبغي لهم أن يلتزموها لتحقيق غاية وجودهم.

ب- العقل: العقل الإنساني هو أداة الإدراك والفهم والنظر والتلقي والتمييز والموازنة، وهو وسيلة الإنسان لأداء مسؤولية الوجود والفعل في عالم الشهادة والحياة، ودون العقل لا يوجد إدراك، ولا فهم، ولا وعي ولا توجد مسؤولية.

ج- الكون: الكون هو ما يطلق عليه في القرآن والسنة " عالم الشهادة "، أي كل ما هو مشهود بالنسبة للإنسان ومن ضمنه العالم المتغير عبر الزمان والمكان، ومختلف الموجودات والظواهر الطبيعية والإنسانية والاجتماعية.

4- المنطلقات الأساسية للمنهجية الإسلامية:

تتميز منهجية المدرسة الإسلامية بأن لها منطلقات أساسية لا يمكن تجاوزها لأنها تمثل الفرضيات الأساسية التي توجه العقل المسلم في بحثه وتعامله مع ماهية الحياة والأحياء والكائنات، وتتمثل فيما يلي:

أ- الوحدانية: هي المنطلق الأساسي الأول لعقل المسلم، فالعقل المسلم لا يكون له وجود إلا إذا آمن بالوحدانية على أنها مسلمة عقيدية بديهية فطرية مصدقة لقوله تعالى: " قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد " – سورة الإخلاص –

ب- الخلافة: المقصود بها خلافة الإنسان في الأرض والكون وهي خلافة رعاية وإعمار وإدارة وتسخير أصبحت بها الخلائق والكائنات بإمرة الإنسان، وأصبح الإنسان قائما بها في موضع الوصاية والنيابة عن الله تعالى في التصرف في الكون وفي الأرض.

لذلك فالعمل مطلب الإنسان والقرار مطلب الإنسان والعلم مطلب الإنسان، ومنطلق الخلافة لدى العقل المسلم يحدد غاية المطالب ويرشدها فتصبح بذلك مطالب سعي إلى الخير والرعاية والإعمار.

ج- المسؤولية: ويقصد بها المسؤولية الأخلاقية، فالخلافة والغاية منها ومؤهلاتها من حرية الإرادة، وقدرة الإدراك، وطاقة العلم تحمل معها مسؤولية الإنسان الأخلاقية عن هذا الدور، وعما يترتب عليه من قرارات في تسخير الكون وإدارته بالسعي أم القعود، بالإصلاح أم الإفساد، بالعدل والاعتدال أم الإسراف والطغيان.